ومثله قول الزجاج : إنه متعلق بقوله (واتقوا الله) على أن (يوم) مفعول لأجله وقيل : بدل اشتمال من اسم الجلالة في قوله (واتقوا الله) لأن جمع الرسل مما يشتمل عليه شأن الله فالاستفهام في قوله (ماذا أجبتم) مستعمل في الاستشهاد . ينتقل منه إلى لازمه وهو توبيخ الذين كذبوا الرسل في حياتهم أو بدلوا وارتدوا بعد مماتهم .

وظاهر حقيقة الإجابة أن المعنى : ماذا أجابكم الأقوام الذين أرسلتم إليهم أي ماذا تلقوا به دعواتكم حملا على ما هو بمعناه في نحو قوله تعالى (فما كان جواب قومه) . ويحمل قول الرسل (لا علم لنا) على معنى لا علم لنا بما يضمرون حين أجابوا فأنت أعلم به منا . أو هو تأدب مع الله تعالى لأن ما عدا ذلك مما أجابت به الأمم يعلمه رسلهم ؛ فلا بد من تأويل نفي الرسل العلم عن أنفسهم وتفويضهم إلى علم الله تعالى بهذا المعنى . فأجمع الرسل في الجواب على تفويض العلم إلى الله أي أن علمك سبحانك أعلى من كل علم وشهادتك أعدل من كل شهادة فكان جواب الرسل متضمنا أمورا : أحدها الشهادة على الكافرين من أممهم بأن ما عاملهم الله به هو الحق . الثاني تسفيه أولئك الكافرين في إنكارهم الذين لا يجديهم . الثالث تذكير أممهم بما عاملوا به رسلهم لأن في قولهم : إنك أنت علام الغيوب تعميما للتذكير بكل ما صدر من أممهم من تكذيب وأذى وعناد . ويقال لمن يسأل عن شيء لا أزيدك علما بذلك أو أنت تعرف ما جرى .

وإيراد الضمير المنفصل بعد الضمير المتصل لزيادة تقرير الخبر وتأكيده .

وعن ابن الأنباري تأويل قول الرسل (لا علم لنا) بأنهم نفوا أن يكونوا يعلمون ما كان من آخر الأمم بعد موت رسلهم من دوام على إقامة الشرائع أو التفريط فيها وتبديلها فيكون قول الرسل (لا علم لنا) محمولا على حقيقته ويكون محمل (ماذا) على قوله (ماذا أجبتم) هو ما أجابوا به من تصديق وتكذيب ومن دوام المصدقين على تصديقهم أو نقض ذلك ويعضد هذا التأويل ما جاء بعد هذا الكلام من قوله تعالى (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) وقول عيسى عليه السلام (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) الآية فإن المحاورة مع عيسى بعض من المحاورة مع بقية الرسل . وهو تأويل حسن .

وعبر في جواب الرسل ب (قالوا) المفيد للمضي مع أن الجواب لم يقع للدلالة على تحقيق أن سيقع حتى صار المستقبل من قوة التحقق بمنزلة الماضي في التحقق . على أن القول الذي تحكى به المحاورات لا يلتزم فيه مراعاة صيغته لزمان وقوعه لأن زمان الوقوع يكون قد تعين

بقرينة سياق المحاورة .

وقرأ الجمهور (الغيوب) بضم الغين . وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم بكسر الغين وهي لغة لدفع ثقل الانتقال من الضمة إلى الباء كما تقدم في بيوت في قوله تعالى (فأمسكوهن في البيوت) من سورة النساء .

وفصل (قالوا) جريا على طريقة حكاية المحاورات كما تقدم في قوله (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) في سورة البقرة .

وقوله (إذ قال ا يا عيسى ابن مريم) ظرف هو بدل من (يوم يجمع ا الرسل) بدل اشتمال فإن يوم الجمع مشتمل على زمن هذا الخطاب لعيسى ولذلك لم تعطف هذه الجملة على التي قبلها . والمقصود من ذكر ما يقال لعيسى يومئذ هو تقريع اليهود والنصارى الذين ضلوا في شأن عيسى بين طرفي إفراط بغض وإفراط حب .

فقوله (اذكر نعمتي عليك) إلى قوله (لا أعذبه أحدا من العالمين) استئناس لعيسى لئلا يفزعه السؤال الوارد بعده بقوله (أأنت قلت للناس) الخ... وهذا تقريع لليهود وما بعدها تقريع للنصارى . والمراد من (اذكر نعمتي) الذكر بضم الذال وهو استحضار الأمر في الذهن . والأمر في قوله (اذكر) للامتنان إذ ليس عيسى بناس لنعم ا عليه وعلى والدته . ومن لازمه خزي اليهود الذين زعموا أنه ساحر مفسد إذ ليس السحر والفساد بنعمة يعدها ا على عبده . ووجه ذكر والدته هنا الزيادة من تبكيت اليهود وكمدهم لأنهم تنقصوها بأقذع مما تنقصوه .

والظرف في قوله (إذ أيدتك بروح القدس) متعلق ب (نعمتي) لما فيها من معنى المصدر أي النعمة الحاصلة في ذلك الوقت وهو وقت التأييد بروح القدس . وروح القدس هنا جبريل على الأظهر .

A E